

مما علمتني الحياة ... قصتي مع صديقتنا الطباخ الساخر :

جلال خشيب : 2012/06/28

في العام الماضي و في موسم الحجّ عملتُ في مطعم صغير بالمطار كمسؤول عن غسل الأواني ، تقشير البطاطا و تنظيف أرجاء المطعم الصغير ، كان صديق صديقي هو من أوجد لي هذا العمل المؤقت فصار بذلك أحد معارفي ، كان يدير هذا المطعم الصغير شابان شريكان و يعملان معنا أيضا نحن الاثنين ... لم أكن في البداية على احتكاك كبير بهما ، كانا أكبر مني سنًا ، أقوم بواجبي كما ينبغي دون حاجة لي في تبادل كلام كثير معهما فلا شئٌ مثير بإمكانني أن أتقاسم به الحديث معهما ، لذا كان أحدهما يعتبرني شخصًا خجولا أو معقدا ما شابه ، فقد كان يعلم أنّي خريج جامعة و خريجي الجامعات يُنظر إليهم في كثير من الأحيان باعتبارهم أصحاب ورق و حبر و فقط ، لا يفقهون شيئًا عن كدح العمل و همّ الحياة ... لذا كان يعتقد أنّ بإمكانه استفزازي أو إطلاق نكته غير المضحكة عليّ بين الفينة و الأخرى ...

أذكر مرّة و في إحدى جلساتنا الأولى وقت الغذاء معا أنه سألني ماذا أدرس بالضبط فقلتُ له - تجنبنا للإطناب في حديث فارغ - أدرس البوليتيك ... فأطلق ضحكة طويلة لمحتُ من خلالها استخفافا في ملامح وجهه " إذا ستصبح رئيسا للجمهورية " ... فسأيرته في ضحكته الساخرة و رددت عليه بحزم أجل يا صديقي لما لا ... سأكون رئيسا للجمهورية إن شاء الله " بينما كنتُ ألعن في سرّي هذا الكرسي المقيت الذي لم أطمح إليه يوما " ... ضحك الاثنان الآخران ، أما صديق صديقي فقد قال بعد ضحكته العالية - تعاطفا مع موقعي الذي يراه موقفا حرجا - " لكنّ عليك يا صديقي أن تُتمّ دراستك العليا أولا " في حين سلك شريك صديقنا الساخر موقفا مخالفا للجميع فردّ عليهم و قال بصوت حازم " نعم بإمكانك فعلها و لا شئٌ مستحيل و الله يعينك و يسدّد خطاك " ، و قد شعرتُ حينها بكلامه الجدّي و لمحت صدقا في وجهه و نظرة عينيه ...

تمّ الأيام و يزيد احتكاكي بهم ، و في كلّ مرّة كنتُ أشاركهم حديثا أراه جدّيا كانوا ينصتون إليّ باهتمام و إعجاب لما كنتُ "أفلسف" به عليهم ... مرّت الأيام و قرُب موعد انتهاء فترة عملي هناك بعد انتهاء موسم عودة حجّاج بيت الله الحرام ، أذكر مرّة أنّي كنتُ جالسا فيها مع صديقنا الساخر هذا و شريكه نقوم معا بتركيب قطع اللحم في أعراف الشواء ، كان هناك سكوت بيننا مُمل و متعب و إذا بصديقنا الساخر يوجّه كلامه إليّ " قرُب موعد انتهاء عملك هنا يا رجل و أرجو أن نلتقي مجددا في ساعة الخير و حينها أرجو ألا تنساني حينما تبلغ منزلة رفيعة " .. كان الرجل مقتنعا في أعماقه فقد تغيّرت نظرته إليّ بعدما سمع

حديثي مرار و عرف شخصيتي على حقيقتها بعد أن خدعه منظري الطفولي و براءة ملامحي ... فانتهزت الفرصة و حاولت أن أعلمه شيئا جميلا ، قلت له لا يا صديقي بل سوف تكون أول شخص أنساه و لن أعرفك حينها أبدا ، سوف أذكر شريكك هذا و حسب و سوف أجعله يومها رئيسا للطباخين في قصر الرئاسة عندي بما أنه يحب مهنته ، أتعرف لما ؟ قال و قد توقفت يداه عن العمل متوجها ببصره إلي متفاجئا : لما ؟ ما الذي فعلته لك حتى تتذكره و تنساني ؟ قلت : أتذكر لما قلت لك في بداية تعارفنا أنني سأصير رئيسا للجمهورية يوما ما ؟ ، أتذكر ضحكتك الساخرة ؟ ، في مقابل ذلك أتذكر كلام شريكك ؟ ، تنهد الرجل ، فقلت لهم أنني حينها كنت أحدثكم بمجرد أحلام مجانية ، و قد قلت لي آنذاك ساخرا مستحيل إنسى ذلك يا ولد ، في حين قام شريكك بتشجيعي بصدق و قال أن لا مستحيل مع العمل ، لقد كان موقفا لا يتطلب منك مالا و لا شيئا و كان حلمي مجانيا مع ذلك فقد بخلت به علي بينما شجعتني صديقك على المضي إلى الأمام حتى أعانق أحلامي ... أنهيت كلامي ناظرا إلى ملامح وجهه متفحفا بدقة ما تقوله عيناه ، شعرت بأن كلامي لأمس فؤاده رغم محاولته الضحك مجددا و لكن بصوت منخفض هذه المرة و بضحكة مصطنعة باردة ، ليتمنى لي بعدها حظا موقفا و يضيف رغم أنني سأجاهله حينها فإن له ربّا يتوكل عليه و ذراعا صحيحة يعول عليها ، كما يقول أي رجل جزائري يشعر بأن كبريائه قد خُذش للتو ...

في النهاية طمنت الرجل حتى لا يظن بي سوءاً و أخبرته بأنني لو كتب القدر لي ذلك يوما ما فسوف نأكل معا أحسن شاورما شامية لما نزور سوريا الشقيقة في مهمة رئاسية يوما ما.

إذا صادفت في حياتك شخصا طموحا فلا تتردد أبدا في تشجيعه ، كن معه ، شد من أزره ، قل له قولا جميلا فلن تخسر في النهاية شيئا على الإطلاق .

إذا صادفت في حياتك
شخصاً طموحاً فلا
تتردد أبداً في تشجيعه
، كن معه ، شدّ من
أزره ، قل له قولاً
جميلاً فلن تخسر في
النهاية شيئاً على
الإطلاق .

جلال خشيب :
٢٨/٠٦/٢٠١٢

